بسم الله الرحمن الرحيم

شرح متن ستة مواضع من السيرة

الموضع الثانى

الموضع الثاني :

[أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد لم يكرهوا ذلك واستحسنوه ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح لهم بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة] : وقالوا : سفه أحلامنا ، وأعاب ديننا ، وشتم آلهتنا ، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى و أمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، لكن لما ذكر لهم أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتماً .

فإذا عرفت هذه المسألة ، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام – ولو وحد الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء ، كما قال تعالى : (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ . . . الآية) .

فإذا فهمت هذه فهماً حسنا جيداً ، عرفت أن الكثير من الذين يّدعون الدين لا يعرفونها ، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصّبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة ؟ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، ولم يجد لهم رخصة،ولو وجد رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه إذا أوذوا في الله إذاً، فكيف بغير ذلك ؟!

هذه الوقفة من المصنف - رحمه الله - لبيان النتيجة الحتمية للدعوة إلى التوحيد ، ما هى النتيجة الحتمية للدعوة إلى التوحيد ؟ عداوة الشرك وأهله ، من دعي إلى التوحيد من دعي إلى إخلاص العبادة لله وحده دون سواه النتيجة الحتمية لهذه الدعوة هي ماذا ؟ هي البراءة من الشرك وأهله ، فإذا ادعى انسان أنه موحد وأنه يدعو إلى طريقة الأنبياء ومع ذلك هو يوالى الكفار ولا يتبرأ منهم ولا يبتعد عنهم ولا يفرق بينه وبينهم ويجعل الأمر واحد والأمر سواسية ويقول هم إخواننا أو يقول نحن نتعامل معهم بدون إنكار أو بدون أى براءة مما هم عليه فإن هذا لم يفهم معنى التوحيد ، ويقول ان الرسول ﷺ كان أرحم الناس بالناس كان رحيمًا ﷺ

فلو كانت هناك رخصة أو كانت هناك مندوحة عن هذه المواجهة التى تنتج مثل هذه العداوة لفعلها رسول الله ﷺ ولكن الأمر لا رخصة فيه هو عزيمة من عزائم الله ، لابد من إظهار الدعوة لابد من إظهار التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده دون سواه ولابد من البراءة من الشرك وأهله ولابد من تسفيه هذه الشركيات التى تظهر

والسكوت عنها فى الدين ليس من السياسة وليس من الحكمة وليس من الدبلوماسية كما يقولون وليس من معاملة الناس الحسنة كما يزعمون ، بل السكوت عليها هو من المداهنة فى دين الله " ودوا لو تدهن فيدهنون "

ما هى **المداهنة** ؟ : **أن تترك شيئا من دين الله من أجلهم من أجل أن تقربهم إليك ، هذه المداهنة** ، والعلماء - رحمهم الله - يفرقون بين المداهنة وبين المداراة

فالمداراة : أن لا تواجه الشخص بأمر هو فيه يكره المواجهة به إنما تحسن استقباله وهكذا تكتفى شره وتتقى أذاه هذه مداراة بدون أن تتنازل عن شئ من دينك هذه جائزة وهذه التقية التى قال تعالى فيها " إلا أن تتقوا منهم تقاة " وهذه المداراة هى التى قالها الرسول وصنعها الرسول ﷺ " أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت عائشة : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة متى عهدتني فحاشا إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره " رواه البخارى فى الصحيح

وكان هذا الرجل كبيرًا فى قومه ، الرسول ﷺ داراه وأحسن استقباله حتى لا يترتب على غير ذلك شر ومفسدة بدون أن يتنازل عن شئ من الدين هذه هى المداراة

أما المداهنة فهى أن تترك شيئًا من الدين من أجل الناس ويا أسفاه لبعض الناس فإنه يترك أصل الدين من أجل الناس يترك أصل الدعوة من أجل الناس ، يترك الكلام فى التوحيد وإخلاص العبادة ويقول حتى لا يفجع الناس فيما هم عليه حتى يقبل الناس إليه ثم يكلمهم فى أمر الدين هذا من المداهنة المذمومة التى يريدها الكفار والمشركون ممن يدعوا إلى الله " ودوا لو تدهن فيدهنون "

فالداعية لابد أن يوطن نفسه أنه إذا دعي إلى التوحيد ، افهموا هذا بعض الناس يفهم قضية تعرض الداعية للأذى أنها قضية سائرة فى كل موضوع ، ولذلك أنا جلست مع بعض الدعاة ممن لهم شهرة فكان الكلام فى المجلس أن أى داعية يوطن نفسه على الأذى وكذا هو يفهم الموضوع هكذا ، لا الموضوع أن يوطن الداعية نفسه على الأذى إذا ما دعي إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله دون سواه " أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون " ؟! إذن القضية فى توطين الداعية نفسه للأذى إذا ما دعي إلى التوحيد ، ولذلك ترون كثير من الدعاة يدعون إلى أمور غير التوحيد لم يحصل لهم أذى لكن متى يحصل الأذى ؟ وبعض الناس قد يدعوا إلى أمور سيئة ليست هى من التوحيد إنما أمور يجتهد هو فيها ويظنها حق كقضية الحاكمية أو كقضية إنكار المنكرات العامة وهو بالتالى يترك طريقة السلف وطريقة أهل السنة والجماعة فى هذه الموضوعات فيتعرض لأذى فيقول هذا من الأذى الذى يتعرض له الدعاة نقول له لا ، هذا من الأذى الذى يتعرض له المخالفين للسنة هذا من تسليط الله سبحانه وتعالى على من خرج عن سنة الرسول ﷺ هذا أذى المخالفين للسنة يسلط الله عليهم من يؤذيهم هذا ليس من أذى الدعاة فى سبيل الله ، لا

لأن الموطن الصحيح الذى ذكرت فيه الآيات أن الداعى يتعرض فيه إلى الأذى هو إذا دعى إلى ماذا ؟ إلى توحيد الله ، فإذا ما رأيت الداعية يدعو إلى غير التوحيد وتعرض لأذى فاعلموا أن هذا من أذى مخالفته للسنة ليس هذا من أذى التوحيد ليس هذا من أذى الأنبياء ليس هذا ، الرسول ﷺ لو دعي الناس إلى أمور أخرى غير التوحيد ما تعرضت له قريش ، قريش أهل عقل العرب كانوا أهل عقل مشهود لهم لو جاءهم بما فى الدين من الأخلاق وبما فى الدين من صلة الرحم وبما فى الدين من مساعدة المحتاج وبما فى الدين من رفع الظلم لقبلوه وما ءآذوه كانوا ءآذوه ؟ ما كانوا ءآذوه ، لكن الأذية التى حصلت والتى ذكرت والتى هى نتيجة دعوة الأنبياء لما دعي إلى التوحيد ، فإذا رأيتم داعية يقول أنه داعية ويتعرض للأذى وموضوع دعوته غير التوحيد فلا تظنوا أن هذه هى قضية الأذى التى يتعرض لها الدعاة إلى التوحيد

هذا الموضع من السيرة النبوية الذى أورده الإمام — رحمه الله — أورده لبيان أهمية البراءة من الكفر وأهله ، وأنه لا يسع من يقول أنه مسلم إلا أن يتبرأ من الكفر ومن أهله ، ألا ترى إلى الرسول ﷺ لما دعي كفار قريش إلى التوحيد الذى هو ضد الشرك وافقوه على ذلك فى أول الأمر ورأوا أن هذا الذى يدعوهم إليه أمر حسن إلى أن سمعوا الرسول ﷺ يدعو إلى ترك دعاء الأصنام وإلى نبذها وإلى أنها لا تضر ولا تنفع فقالوا إنه يسفه أحلامنا يعنى عقولنا انه يريد أن يخرجنا عن ما كان عليه أباؤنا فنابذوه العداء فلو كان يسع المسلم أن يسكت عن بيان حال الآلهة الكفرية لفعل ذلك الرسول ﷺ خاصة وقد لمس منهم فى أول الأمر اقبالًا عليه خاصة وأنه ﷺ أرحم الخلق بالخلق وهو يرى ما أصاب أصحابه من جراء ذلك فلو كان فى الأمر سعة لو كان فى الأمر مندوحة لفعله الرسول ﷺ

فهذا الموقف من مواقف الرسول ﷺ فى سيرته مع الكفار فى دعوته للكفار دليل أن البراءة من الكفر وأهله وإظهار فساد ما عليه أهل الجاهلية والكفر هو من أصل الدين وانه لا يسع المسلم إلا أن يفعل ذلك ، والكفار سموا ذلك شتمًا وسبًا لأن حقيقة الشتم والسب نسبة العيب والنقص إلى الشخص فلما قال رسول الله ﷺ هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع لا تدعوها ، هذه لا يجوز أن يتوجه لها المسلم بشئ من العبادة هذه الأصنام ينبغى أن تكسر وينبغى أن تهدم وينبغى أن تسقط ، لما قال ذلك عدوا ذلك سبًا وشتمًا لآلهتهم ، لأنه نسب إليها العيب والنقص وعدوه شتمًا وسبًا لهم لأنه سفه أحلامهم سفه عقولهم وبين أنهم لا عقول لهم ، وإلا بربك أى عقل عند من إذا ضرب فى الأرض سفرًا اتخذ إلهًا من تمر فإذا جاع أكل إلهه أى عقل هذا ؟! أى عقل عند من يعبد خشبة فإذا ما احتاج إلى النار وضعها فى النار لكى يستدفئ بها أى عقل هذا ؟! أى عقل عند من يتوسل ويذبح للصنم لكي يدفع عنه هذا الحجر الأمر من الضر أو يجلب له الأمر من الخير أى عقل هذا ؟! وهو يعلم أن هذا الحجر ممكن أن يكسره ممكن أن يهوي ويسقط ويطيح وممكن وممكن .. الخ أى عقل هذا ؟! فلما جاء الرسول ﷺ يبين أن عبادة هذه الأصنام لا تجوز وانها لا تنفع ولا تضر وسفه أحلامهم وكشف زيف عقولهم عندها ارتدوا وابتعدوا عن الاستجابة للرسول ﷺ

فهذا الموقف من السيرة يفيد عدة فوائد :

الفائدة الأولي : بيان حقيقة الدين وأنه لا يقوم إلا بالبراءة من الكفر وأهله وهذا حقيقة الإسلام إذ **الإسلام هو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله**

الفائدة الثانية : أن المسلم لا يسعه إلا إظهار ذلك ، ما يمكن ، لو كان فى محل المجاملة والمداراة لدار الرسول ﷺ رحمة بالصحابة لكنه صدع بها وتحمل هو وأصحابه كل ما جاءه بسبب هذا الأمر ، لمَ ؟ لأن هذا هو أصل الدين ، لابد فيه من البراءة من الشرك وأهله

الفائدة الثالثة : أن البراءة من الشرك وأهله لا تقتضى المواجهة الدائمة بالعداء ، فأنت تبين أن هذا كفر وأن عبادة هذه لا تجوز وأن هذه الأمور تنافى الدين والتوحيد ولا يلزم من هذا مواجهة وقتال دائم مستمر أو سباب وشتائم دائمة مستمرة والدليل سيرة الرسول ﷺ فإننا لا نعرف الرسول أنه كان يدخل مع الكفار فى سباب وفى شتائم غاية ما فى الأمر أنه بين أن هذه لا تنفع ولا تضر وأن عبادتها تتنافى مع التوحيد الذى يدعو الله سبحانه وتعالى الناس اليه ، وهذا يبين خطأ فهم بعض الناس الذى فهم أن معنى البراءة من الكفر وأهله المواجهة الدائمة مع الكفار وأنك تكون معهم دائمًا فى سباب وفى شتائم وهذا خلاف سيرة الرسول ﷺ خلاف سيرته فى مكة وخلاف سيرته فى المدينة فإنه ﷺ فى المدينة كان يجالسه اليهود ، وكان إذا دعته يهودية إلى طعام أجاب ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودى ﷺ مع قيامه ﷺ بما تقتضيه الدعوة من بيان أن ما عليه اليهود كفر وأنهم كفار وأنهم من أهل النار وأنهم مخالفون للتوراة التى أنزلها الله سبحانه وتعالى ومع ما علمنا إياه الرسول ﷺ من أننا إذا مشينا مع يهود نضطرهم إلى أضيق الطريق و و .. الخ ومع ذلك هذا لم يمنعه ﷺ أن لا يجالسهم ويؤاكلهم بل وأباح لنا الشرع نكاح الكتابيات ، إذن لا تفهموا من معنى البراءة من الشرك وأهله والعداوة للشرك وأهله أننا نكون فى مواجهة وقتال دائم ، لا ، إنما معناه أن نقرر أن ما هم عليه باطل وأن لا نسكت عن بيان الحق فى ذلك وأننا نبين أنهم كفار وأن الإيمان والتوحيد يقتضى خلاف ما هم عليه ، إلى هذا الحد هذا معنى البراءة التى تكون بين المسلم وبين الكفار والرسول ﷺ انظروا إلى سيرته لما كان فى مكة ولما كان فى المدينة لا تجدون أكثر من هذه المعانى إذن نحن نقول هذا الموقف من مواقف السيرة فيه بيان أن الدين يقوم علي أصل البراءة من الكفر وأهله

الموضع الثاني :

[أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد لم يكرهوا ذلك واستحسنوه ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح لهم بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة] : وقالوا : سفه أحلامنا ، وأعاب ديننا ، وشتم آلهتنا ، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى و أمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، لكن لما ذكر لهم أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتماً .

نقطة مهمة أيضًا : المعركة بين الأنبياء وبين أقوامهم فى توحيد الألوهية هم مقرون أن الله الذى يخلق وأن الله الذى يرزق وأن الله الذى ينزل المطر لكن المعركة في هل نفرده بالعبادة وحده دون سواه ؟ أو نشركه مع غيره ممن يعبدونهم ليقربونهم إلى الله زلفى بزعمهم هذا موضع المعركة ، ولذلك بعض الناس قد يتوهم أن التوحيد هو فقط قضية الربوبية فيدعو إلى أن تكون الأديان وأصحابها وحدة واحدة وهذا باطل من القول وزورًا وبعض الناس ألف كتب على أن الإيمان هو مجرد الإيمان بأن الله موجود وأن الله يخلق وأن الله مدبر للكون وهذا ليس موضع المعركة بين المسلمين وبين الكافرين ليس موضع المعركة بين الأنبياء وبين أقوامهم ، ولذلك حينما تأتى إلى الكلام عن الألوهية يعدون هذا شتمًا وعيبًا وتنقصًا لآلهتهم ولعقولهم

يقول المصنف : **فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض**

معنى التصريح لهم بالعداوة والبغض هو ما ذكرته لكم قبل قليل كما فعله الرسول ﷺ هذه عبادة كفرية لا يجوز أن نصرف العبادة لغير الله لا يجوز أن نستغيث بهذا القبر لا يجوز أن نستغيث بهذا الصنم توجهكم لغير الله لا يجوز ينبغى لكم أن توحدوا الله وأن تعبدوه وحده دون سواه

قال : **كما قال تعالى " لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله "** فلا ود ولا محبة بين المؤمن والكافر فى هذه الأمور لا مداهنة " ودوا لو تدهن فيدهنون " ودوا لو تسكت عن هذا فيسكتوا هم عنك ، لا مداهنة بين المسلم وبين الكافر فى هذا ولا ود بين المسلم والكافر فى هذا الأمر

قال :

فإذا فهمت هذه فهماً حسنا جيداً ، عرفت أن الكثير من الذين يّدعون الدين لا يعرفونها ، وإلا فمـــا الذي حمل المسلمين على الصّبر على ذلك العذاب والأسر والضــرب والهجــرة إلــى الحبشة ؟ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، ولم يجد لهــم رخصــة،ولو وجــد رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه إذا أوذوا في الله إذاً، فكيف بغيــر ذلك ؟!

وهذا موضع مهم بعض الناس وبعض من ينتسب إلى الدعوة يسكت عن بيان التوحيد ، يسكت عن بيان العقيدة ، يسكت عن بيان أن ما يفعله هؤلاء الناس الذين يدعوهم شرك ، يقول أريد أن استألفهم أريد أن أقربهم لي ، هذا خطأ لو كان يسع الرسول ﷺ ذلك والصحابة ذلك لما تكلموا ولسكتوا ولكنهم تحملوا العذاب وتحملوا الأذى وتحملوا كل ما أصابهم فى سبيل إعلان البراءة من الكفر ومن أهله إعلان التوحيد

أبو ذر — رضى الله عنه - لما آمن قالوا له اكتم ذلك قال لا والله لأصدعن بها فخرج يصدع بها فتلقاه الكفار وضربوه وءآذوه حتى أغمى عليه

المسلم يصدع بالتوحيد لا مداهنة فى التوحيد ، لا مداهنة فى العقيدة ، الذين يؤخرون مسائل العقيدة ولا يعرضونها على الناس أو يرون أن الكلام فى مسائل التوحيد من المعلومات الساذجة التى لا يحتاجها الناس هؤلاء ما عرفوا حقيقة الدعوة إلى الله ما عرفوا حقيقة دعوة الأنبياء التى تقوم على أصل وهو أن يُعبد الله وحده لا شريك له والبراءة من الكفر وأهله لكن كما أن بيننا وبين الكفار مفاصلة بالبراءة منهم

كذا أيضًا بيننا وبين أصحاب الفكر المنحرف براءة من التفسير الذى يفسرون به معنى البراءة من الكفر وأهله فإن بعض الناس يظن أن معنى البراءة من الكفر وأهله إعلامهم ومواجهتهم الدائمة بالقتال وبالهجوم وبالسباب وبالشتائم وهذا لم يأتِ عن الرسول ﷺ ولم يكن من سيرته ﷺ بل نقول الرسول ﷺ تبرأ من الكفار ومع ذلك تعامل مع يهود أكل من طعامهم وأرخص لنا فى نكاح نسائهم وأرخص لنا أيضًا فى طعامهم سبحانه وتعالى ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فهذا شئ وهذا شئ آخر ، ينبغى للإنسان أن ينتبه إليه ولا تختلط عنده الأمور فى معنى البراءة من الكفر وأهله ولا يتنافى مع البراءة أن يكون هناك علاقات بين الدولة المسلمة والدولة الكافرة لا يتنافى مع البراءة أن يوجد فى بلاد المسلمين ذميين أو أن يوجد أهل عهد أو أن يوجد مستأمنين أو أن يوجد رسل ملوك فكل ذلك مما أقره الرسول ﷺ بل قال ﷺ " من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة توجد من مسيرة سبعين عامًا " صححه الإمام الألبانى